

تفسير البحر المحيط

@ 330 @ والظاهر من قوله : أنتم شر مكاناً ، خطابهم بهذا القول في الوجه ، فكأنه أسر كراهية مقالتهم ، ثم وبخهم بقوله : أنتم شر مكاناً ، وفيه إشارة إلى تكذيبهم وتقوية أنهم تركوا أن يشفعوا بأنفسهم ، وعدلوا إلى الشفاعة بأبيه الشيخ يعقوب عليه السلام . وقال قوم : لم يقل يوسف هذا الكلام لهم مواجهة ، إنما قاله في نفسه ، وهو تفسير قوله : الذي أسر في نفسه ، وهو قول الزمخشري المتقدم . ومعنى شر مكاناً أي منزلة في السرقة ، لأنكم سارقون بالصحة لسرقتكم أخاكم من أبيكم . ومعنى أعلم بما تصفون يعني : هو أعلم بما تصفون منكم ، لأنه عالم بحقائق الأمور ، وكيف كانت سرقة أخيه التي أحلتم سرقة عليه . وروي أن روبيل غضب ووقف شعره حتى خرج من ثيابه ، فأمر يوسف ابناً له يمسح فسكن غضبه فقال روبيل : لقد مسني أحد من ولد يعقوب ، ثم أنهم تشاوروا في محاربة يوسف وكانوا أهل قوة لا يدانون في ذلك ، فلما أحس يوسف بذلك قام إلى روبيل فلبسه وصرعه ، فرأوا من قوته ما استعظموه وعند ذلك . .

. %)

{ قَالُوا يَا بَنِيَّ إِنَّا كُنَّا نَمُرُّ بِالْعَنَزَةِ إِذْ لَنَا شَيْءٌ مِّنْ لَّهِ } قَالَ مَعَاذَ اللَّهِ أَن نَّأُفٍّ لَّكَ إِذْ لَنَا مَعَاذُ اللَّهِ مَن وَجَدَنَا عِنْدَهُ إِنَّا لَنَنَاقُكَ بِالْحَقِّ } قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ : وَمَعْنَى كَبِيرًا ، أَوِ الْقَدْر . وكانوا قد أعلموا يوسف بأنه كان له ابن قد هلك ، وهذا شقيقه يستأنس به ، وخاطبوه بالعزير إذ كان في تلك الخطة بعزل قطفير ، أو موته على ما سبق . ومعنى مكانه أي : بدله على جهة الاسترهان أو الاستعباد ، قاله الزمخشري . وقال ابن عطية : يحتمل قولهم أن يكون مجازاً ، وهم يعلمون أنه لا يصح أخذ حرٍّ بسارق بدل من قد أحكمت السنة رقة ، وإنما هذا كمن يقول لمن يكره فعله : اقتلني ولا تفعل كذا وكذا ، وأنت لا تريد أن يقتلك ولكنك تبالغ في استنزاله ، وعلى هذا يتجه قول يوسف : معاذ الله لأنه تعود من غير جائز . ويحتمل أن يكون قولهم حقيقة ، وبعيد عليهم وهم أنبياء أن يريدوا استرقاق حر ، فلم يبق إلا أن يريدوا بذلك طريق الجمالة ، أي : خذ أحداً حتى ينصرف إليك صاحبك . ومقصدهم بذلك أن يصل بنيامين إلى أبيه ويعرف يعقوب جلية الأمر . وقوله : من المحسنين ، وصفوه بما شاهدوه من إحسانه لهم ولغيرهم ، أو من المحسنين إلينا في هذه اليد إن أسديتها إلينا ،

وهذا تأويل ابن إسحاق ومعاذ ١١ تقدم الكلام فيه في قوله : معاذ ١٢ إنه ربي ، والمعنى :
وجب على قضية فتواكم أخذ من وجد الصواع في رحله واستعباده . فلو أخذنا غيره كان ذلك
ظلماً في مذهبكم ، فلم تطلبون ما عرفت أنه ظلم ، وباطنه أن ١٣ أمرني وأوحى إلي بأخذ
بنيامين واحتباسه لمصلحة ، أو مصالح جمة علمها في ذلك . فلو أخذت غير من أمرني بأخذه
كنت ظالماً وعاملاً على خلاف الوحي . وأن نأخذ تقديره : من أن نأخذ ، وإذا جواب وجزاء أي
: إن أخذنا بدله ظلمنا . وروي أنه قال لما أيأسهم من حمله معهم : إذا أتيتم أباكم
فاقرؤوا عليه السلام وقولوا له : إن ملك مصر يدعو لك أن لا تموت حتى ترى ولدك يوسف ،
ليعلم أن في أرض مصر صديقين مثله . .

{ فَلَمَّاسَا اسْتَدَيَا سُوَا مِّنْهُ خَلَامُوا رَجِيًّا قَالَ كَبِيرُهُمْ أَلَمْ
تَعْلَمُوا أَنَّا أَبَاكُمْ قَدْ أَخَذَ عَلَيْكُمْ مَّوْثِقًا مِّنَ اللَّهِ وَمِن
قَبْلُ } : استفعل هنا بمعنى المجرد ، يئس واستيأس بمعنى واحد نحو : سخر واستسخر ،
وعجب واستعجب . وزعم الزمخشري أن زيادة السين والتاء في المبالغة قال : نحو ما مر في
استعصم انتهى . وقرأ ابن كثير : استيأسوا استفعلوا ، من أيس مقلوباً من يئس ، ودليل
القلب كون ياء أيس لم تنقلب ألفاً لتحركها وانفتاح ما قبلها . ومعنى خلصوا نجياً :
انفردوا من غيرهم يناجي بعضهم بعضاً . والنجي فعيل بمعنى مفاعل ، كالخليط والعشير .
ومعنى المصدر الذي هو التناجي كما قيل : النجوى بمعنى التناجي ، وهو لفظ يوصف به من له
نجوى واحداً كان أو جماعة ، مؤنثاً أو مذكراً ، فهو كعدل ، ويجمع على أنجية قال لبيد :